# الخاتمــة

إن دراسة الإستشراق تحتاج إلى بحوث عديدة ربما لايمكن جمعها بين دفتي كتاب واحد ولكنها نالت اهتمام الباحثين المسلمين في الجامعات الإسلامية والعربية وظهرت كتابات عديدة تتناول موضوع الاستشراق ومدارسه وأهدافه وناقشت كذلك مناهج المستشرقين تلك المناهج التي تنوعت بتنوع مدارس المستشرقين على مر العصور المختلفة .

لقد بلغ ما ألفه المستشرقون عن الشرق في قرن ونصف قرن (منذ أوائل القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين) ستين ألف كتاب ومنها كتابات:

-دوجلاس ليتل :الإستشراق الأمريكي "الولايات المتحدة والشرق الأوسط منذ 1945

- ماكس فرايهير فون اوبنهايم "البدو" كتاب للمستشرق الألماني الذي صدرت ترجمته الى العربية (دار الوراق 2004 )، نتاج بحوث ودراسات معمقة استغرقت أربعين عاما قضاها المؤلف في الشرق الأوسط.

- كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي: 1956م.

- مرغوليوث : دراسات عن المؤرخين العرب, ترجمة: حسين نصار , المركز القومي للترجمة, القاهرة , 2010م.

- كلود كاهن : الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية, ترجمة. أحمد الشيخ, سينا للنشر, القاهرة, 1995م.

obeikandl.com

# الهـوامش

(1) لويس برنارد : لغة السياسة في الإسلام, بيروت,1993م,ص10, عبد التواب يوسف:الحضارة الإسلامية,ص72-73, أحمد علبي: الإسلام والمنهج التاريخي, دار الطليعة, بيروت,1975م,ص127,

مازن بن صلاح مطبقاني: منهج المستشرق برنارد لويس في دراسة الفكر السياسي الإسلامي,المجمع الثقافي, أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة , 26 ابريل , 1998م ,ص7|34.

(2) فاروق عمر فوزي: الاستشراق (التاريخ الإسلامي القرون الإسلامية الأولى),الأهلية للنشر والتوزيع, لبنان,1998م,ص170.

(3) كتب المستشرق كراتشوفسكي ان اللغة العربية تزداد صعوبة كلما ازداد المرء دراسة لها.

فاروق عمر فوزي : الاستشراق والتاريخ الإسلامي القرون الإسلامية الأولى دراسة مقارنة بين وجهة النظر الإسلامية ووجهة النظر الأوربية, الأهلية للنشر والتوزيع, عمان,1998م,ص135, عبد العظيم الديب: المنهج في كتابات,ص70.

(4) فاروق عمر فوزي : الاستشراق,ص152.

(5) وليم الصورى: الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشى، ج2، ط. القاهرة 1994م، ص125.

(6) ريموند اجيل: تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة حسين عطيه ج1، ط. الإسكندرية 2002م، ص247. أيضًا : مكسيموس مونروند: تاريخ الحروب المقدسة فى الشرق المدعوة حرب الصليب، ترجمة كيريو مكسيموس مظلوم، ج1، ط. أورشليم 1865م، ص173.

(7)ريموناجيل : تاريخ الفرنجة، ص247، وليم الصورى : الحروب، ج2، ص126-127، فوشيه الشارترى، تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة زياد العسيلى، ج1، ط. بيروت 1990م، ص82.

(8) ذكر متى الرهاوى أن المسجد الأقصى (ويطلق عليه خطأ اسم المعبد) قُتل فيه حوالى65.000 نفس

Matthieu dرَحِمَهَاٱللَّهُEdesse, Chronique de Matthieu d'Edesse 962-1136, Paris 1850, p.226.

(9) فوشيه الشارترى: المصدر السابق ص13، 75، أيضًا موريس كين: حضارة أوربا، ص111.

(10) جوزيف نسيم : العرب والروم، ص41- 42.

(11) جوزيف نسيم: المرجع السابق ص41- 42/ 68.

(12) محمد مؤنس: الحروب الصليبية: السياسة-المياه-العقيدة، ط. أولى القاهرة، 2000م، ص92، جوزيف نسيم العرب، ص69.

(13) جوزيف نسيم: العرب ص265، علية الجنزورى: الحروب ص260، أيضًا فوشيه الشارترى، المصدر السابق، ص75.

(14) Jacques de Vitry, op cit, v.x1.pp: 65.

(15) فوشيه الشارترى: المصدر السابق، ص218، أسامة بن منقذ، المصدر السابق نفسه الصفحة،

أيضًا محمد مؤنس: الحروب ص104، يوسف غوانمه: فى التاريخ، ص87، حسين عطيه: دراسات ص43- 45.

(16) ارنست رينان ( 1823-1892م) ولد في بلدة بفرنسا أرسل للتعليم الديني درس التاريخ والأديان والفلسفة واهتم بالدراسات واللغات الشرقية له كتابات عن تاريخ وأصول المسيحية وحياة المسيح وتاريخ الشعب الإسرائيلي والإسلام والعلم وهومؤرخ وكاتب اشتهر بترجمته ليسوع التي دعا فيها إلى نقد المصادر الدينية نقدًا تاريخيًا علميًا وإلى التمييز بين العناصر التاريخية والعناصر الأسطورية الموجودة في الكتاب المقدس.

الإسلام والعلم مناظرة رينان والأفغاني, ترجمة. مجدي عبد الحافظ, المركز القومي للترجمة, القاهرة,2009م,ص33.

(17) ارنست رينان ( 1823-1892م) ولد في بلدة بفرنسا أرسل للتعليم الديني درس التاريخ والأديان والفلسفة واهتم بالدراسات واللغات الشرقية له كتابات عن تاريخ وأصول

المسيحية وحياة المسيح وتاريخ الشعب الإسرائيلي والإسلام والعلم وهومؤرخ وكاتب اشتهر بترجمته ليسوع التي دعا فيها إلى نقد المصادر الدينية نقدًا تاريخيًا علميًا وإلى التمييز بين العناصر التاريخية والعناصر الأسطورية الموجودة في الكتاب المقدس.

الإسلام والعلم مناظرة رينان والأفغاني, ترجمة. مجدي عبد الحافظ, المركز القومي للترجمة, القاهرة,2009م,ص33.

(18) مرغوليوث او مارجليوث مستشرق يهودي بريطاني بدأ حياته العلمية بدراسة اليونانية واللاتينية ثم اهتم بدراسة اللغات السامية فتعلم العربية ومن أشهر مؤلفاته ما كتبه في السيرة النبوية وكتابه عن الإسلام وكتابه عن العلاقات بين العرب واليهود. ولكن هذه الكتابات اتسمت بالتعصب والتحيز والبعد الشديد عن الموضوعية .

فاروق عمر فوزي: الإستشراق,ص170.

(19) مرغوليوث: دراسات عن المؤرخين العرب, ترجمة. حسين نصار, المركز القومي للترجمة, القاهرة,2010م,ص22-23.

(20)محمد البهي : المبشرون والمستشرقون , مطبعة الأزهر الادراة العامة للثقافة الإسلامية, القاهرة , د.ت , ص103

(21)نجيب العقيقي : المستشرقون , ج1, دار المعارف ,القاهرة , 1980,ص162-165.

(22) نجيب العقيقي : المستشرقون , ج1, دار المعارف ,القاهرة , 1980,ص162-165.

(23)نجيب العقيقي : المستشرقون , ج1, ص263-268.

(24)اعتبر مناظرة رينان والأفغاني وما دار حولها من ردود ودراسات من أهم اللقاءات بين الاستشراق والفكر الإسلامي.للمزيد انظر :الإسلام والعلم مناظرة رينان والأفغاني,ص47|145.

(25)درس لويس برنارد في جامعة لندن وقد اكتسب موقعه العلمي كمتخصص في الفترة العثمانية وهو معروف بالتعصب والتحيز و اعتماده على التلميح والاقتراح وميوله الصهيونية وهو يمثل الاستشراق الكلاسيكي, حصل على الجنسية الأمريكية عام 1982م أوصى لويس بأن

تعطى مكتبته – وهي مكتبة كبيرة– لمركز موشيه ديان بعد وفاته. ويقضي لويس شهرين سنوياً في تل أبيب

- Lewis –the Jews of Islam ,Princeton ,1984.

-History remembered ,Recovered, invented ,New York ,1987.

مازن بن صلاح مطبقاني: منهج المستشرق ,ص3-5.

(26)نسطوريوس وهو سوري الموطن ومن أتباع مدرسة أنطاكية أصبح بطريركًا لكنيسة القسطنطينية عام 428م وقد أُدين مذهبه في مجمع إفسوس 431م واعتبر هرطقة، ونفاه الإمبراطور ثيودوسيوس إلى صحراء ليبيا حيث مات عام 440م وتنقل أتباعه بين سوريا وفارس بسبب اضطهادات البيزنطيين لهم، وكان أكثر المذاهب المسيحية تواجدًا في فارس وقد تسامح الفرس مع أتباعه نكاية في الروم. ومذهبه يقر طبيعتين للمسيح ويرفض القول بأن مريم أم اله ويقول بأنها أم المسيح، مما أغضب أهالي القسطنطينة ضد هذا المذهب لأنه يهاجم مريم العذراء نصيرة القسطنطينية.

للمزيد انظر:

بروكوبيوس، التاريخ السري، ص47، ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج1، ص77، البشاشتي، الديارات، ص109، أيضًا، ستيفن رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص132. عمر كمال توفيق ومحمود سعيد عمران، تاريخ الدولة البيزنطية، ط دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 2006م، ص 72-73، 100، ول. ديورانت، قصة الحضارة، ج12، ص100-101،هنري س عبودي، معجم الحضارات السامية، ط2، طرابلس لبنان، 1991م، ص452، أسد رستم، الروم، ج1، ص123.

(27)إفسوس بلد بثغور طرسوس ويقال أنه بلد أصحاب الكهف، وبها كنيسة تعرف باسم كنيسة النائمين السبعة، وتقع غرب آسيا الصغرى وكانت معقلاً للثقافة اليونانية.

الحموي، معجم البلدان، مج 1، ص231. أيضًا، الفريد. ج. بتلر، الكنائس القبطية في مصر، ترجمة ابراهيم سلامة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 2012م، ص23، أيضًا،

Encyclopedia of Ancient Greece, p. 261

(28)سورة الضحى: آية 8.

(29)البخاري، ج2، ص 467.

(30)سيرة ابن هشام، ج1.

(31)شفيق، حمدي: زوجات لا عشقيات

http://www.ebnmaryam.com/alta3ddod/alta3ddod.htm.

(32)سورة القصص: آية 9.

(33)شفيق، حمدي: زوجات لا عشيقات.

(34)الطويل، محمد بن مسفر بن حسين: تعدد الزوجات في الإسلام

www.saaid.net/book/4/729.doc.

(35) طعيمة، صابر عبد الرحمن: المرأة المسلمة بين غرائز البشر وهداية الإسلام، مكتبة الرشد، ج1، ط1، ص28.

(36)الطويل، محمد بن مسفر بن حسين: تعدد الزوجات في الإسلام.

(37)طعيمة، صابر عبد الرحمن: المرأة المسلمة بين غرائز البشر وهداية الإسلام، مكتبة الرشد، ج1، ط1، ص 30.

(38)الطويل، محمد بن مسفر بن حسين: تعدد الزوجات في الإسلام.

(39) عبد العظيم الديب: المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي,أخبار اليوم,1990م,59-60.

obeikandl.com

# صــورة المؤرخين المسلمين في الدراسات الاستشراقية

## (ارنست رينان ـ مرغوليوث ـ لويس برنارد –كلود كاهن )

فضل المسلمين على علم التاريخ يماثل فضلهم على العلوم الأخرى التي أضاءت مشعل الحضارة الإنسانية فقد أكملوا ما بدأه الإغريق والرومان في سبيل بناء الفكر التاريخي, وضربوا في شتى كتابات التاريخ بسهم وافر, فأرخوا لتاريخ الأمم والشعوب السابقة وتاريخ الفتوحات والمغازي والسير والتراجم وتاريخ الأقاليم والبلدان والمدن, وكانوا أول من كتب في تاريخ التأريخ, ووضحت لديهم فكرة الزمان والمكان وصنفوا العصور واهتموا بالتوقيت للواقعة التاريخية بالأيام والشهور والسنين وهو مالم يعرفه مؤرخو الإغريق والرومان والذين أغفلوا حساب الزمان في تدوين الأحداث[1].

وقد أدى وضع التقويم الهجري لتأسيس علم التاريخ والذي بدأ من الهجرة مما وفر إطاراً زمنياً عاماً لتسجيل الأحداث[2].

وقد أخذ مؤرخو المسلمين بطريقة الإسناد في الرواية التاريخية وهو ما اعتادوه في رواية الحديث للمحافظة على النص وتحري الصدق [3], فالإمام مالك ابن أنس (179ه) يقول لايؤخذ العلم من سفيه أو صاحب هوى ولا من كاذب ولا شيخ لا يعرف ما يحدث به[4]. ويقول الكندي (ت 350ه) وهو مفكر بداء على يديه تاريخ الفلسفة الإسلامية "يجب ألا نخجل من الاعتراف بالحق من أي طريق جاء حتى لو جاء من أسلاف سبقونا أو من أمم أخري فغاية الباحث عن الحق هو الحق ذاته"[5]. وقد تحري ابن النديم (ت 385ه) في كتابه الفهرست الصدق وأمانة النقل إلى أبعد الحدود[6], ويؤكد الطبري (ت 310ه / 923م) في كتابه المعنون "تاريخ الرسل والملوك" أنه نقل الروايات رغم بشاعتها وفظاعتها وقد يكون غير متفق معها ولكن الأمانة اقتدت سردها في كتابه واعتقد أن القارئ سينتقد الرواية من خلال سندها[7].

ولقد كان المسلمون من الأمانة في النقل والترجمة والأخذ عمن سبقوهم من أهل الحضارات السابقة فنسبوا الفضل لأهله ونورد قول البيروني (ت 440ه) فيما يخص الأمانة

العلمية وعدم التحيز والحياد وهي ثمات أصيلة في المؤرخ الحق فيقول "إن التعصب عند الكتاب هو الذي يحول دون تقريرهم للحق" ودعي لوحدة الاتجاه العلمي في التعليم الإسلامي والغربي واتحاد الشرق والغرب وذلك في كتابه "الآثار الباقية من القرون الخالية" وفي كتابه عن تاريخ الهند "تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة " رجع لكتابات عن الأدب الإغريقي وأساطير الهند ولم يتعارض هذا مع العقيدة الإسلامية أن يذكر بعض الروايات والترجمات من نصوص قديمة وثنية[8].

وقد أدى الاهتمام بالأحاديث إلى ظهور أنماط من كتب السيرة والمغازي مثل الواقدي (ت 207ه) في كتابه "مغازي الرسول وسراياه" وابن سعد (ت 230ه|844|845م) في كتاب "الطبقات الكبرى" ثمانية أجزاء والجزء التاسع فهرس عام وقد ذكر مصادر أخباره ثم تطور ليشمل سير الخلفاء والأمراء وأخبار فتوح البلدان[9]، ومن أمثلة الكتابات في تاريخ المدن والأعلام كتاب الخطيب البغدادي (ت 463ه) "تاريخ بغداد" وكتاب "تاريخ دمشق وأعلامها" لابن عساكر (ت571ه) من مؤرخي القرن السادس وياقوت الحموي (626ه) وكتابه "معجم البلدان" وكتاب "وفيات الأعيان" لابن خلكان (1211-1282م) من مؤرخي القرن السابع الهجري, والذي صنف معجما في التراجم التاريخية جدير أن يقرن بتراجم فلوطرخ[10]حسب وصف المستشرق هرنشو[11] ووصلت كتابة التاريخ لمرحلة من النضج في القرن التاسع الميلادي|الثالث الهجري بظهور مؤرخين ذوي اهتمامات موسوعية سجلوا تاريخ الأمم السابقة وكانوا على قدر كبير من الفهم أمثال البلاذري (ت 279ه|892م) والطبري والمسعودي (ت345ه| 928م) في كتابه "مروج الذهب ومعادن الجوهر" عرض لتاريخ اليونان وجميع أمم الشرق مثل أمم غرب آسيا وإفريقيا وشرق أوربا وغيرهم فهو مؤرخ وجغرافي[12]إلى أن جاء ابن خلدون[13](ت808ه|1406م) فربط بين الفرد والمجتمع والواقعة والبيئة ووضع أساس النقد التاريخي وفلسفة التاريخ وتناول التاريخ بمنهجية جديدة[14].

وبعد هذا العرض السريع لبعض نماذج مؤرخينا المسلمين والتأكيد على أمانتهم العلمية وتحري الدقة في النقل ونسب الفضل لأهله ومقارنة الروايات ومحاولاتهم الجادة من أجل الوصول للحقائق التاريخية, مؤكدين على ذلك بذكر نماذج مشرفة لتاريخ المؤرخين المسلمين

ننتقل الآن للمحور الثاني في بحثنا وهو الخاص بصورة هؤلاء المؤرخين في الدراسات الاستشراقية, وعلينا أن نوضح مكونات الفكر الاستشراقي والتي من خلالها تكونت صورة المؤرخين المسلمين في كتاباتهم والحقيقة أن فصل العقيدة عن الواقع التاريخي هو ما تأثروا به من واقع بيئتهم الأوربية المعتمدة على فصل شؤون الدنيا عن الدين وبالتالي درسوا المؤرخين المسلمين بموجب مفاهيم غربية وعقيدة مغايرة بينما كانت كتابات المؤرخين المسلمين تتداخل فيها العقيدة الإسلامية مع الواقع التاريخي فقد فسر كثير من المؤرخين كل انتصار في مسرح الأحداث وكل تقدم حضاري أنه انتصار للإسلام واستجابة لتعاليمه والعكس, وقد وضح لدينا أن نظرة المسلمين للتاريخ لم تخل من الجانب الأخلاقي في حين خلت دراسات المستشرقين الذين فصلوا أمور الدنيا عن الدين من تصور حقيقي للمؤرخين المسلمين أو فهم للنصوص التاريخية بل كثيراً ما حاولوا تطويعها لإثبات فرضيتهم التي تحاكي الفكر الأوربي[15].

يأتي حكم المسشترق أحياناً دون مراعاة للسياق الديني والاجتماعي الذي عاش وتربى فيه المؤرخ المسلم وقد يؤدي هذا لانعدام الموضوعية لأنه يجب على المستشرق أن يحكم على المؤرخ أو الظاهرة في إطار سياقها وليس في سياقه هو.

وقد أكد المستشرق لويس برنارد هذا الاتجاه لبعض الدراسات الإستشراقية عندما أشار لها في مقولته "أننا في العالم الغربي وقد نشأنا في ظل التقاليد الغربية, عندما نستخدم كلمة إسلام وإسلامي نقع عمداً في خطأ تفسيري ونفترض أن الدين يعنى عند المسلمين ما يعنيه عندنا في المجتمع الغربي حتى في العصور الوسطى"[16].

وقد تكون النصوص والوثائق التاريخية التي يرجع لها المستشرق لرسم صورة المؤرخ قليلة أو مقتضبة إلى حد الإخلال أو التحريف لغوياً بخاصة أن الكثير من المستشرقين كفاءتهم اللغوية

ومعلوماتهم عن الشرق أو منهجيتهم لا تؤهلهم لرسم صورة صحيحة ودقيقة بشكل علمي موضوعي فكثيراً ما اعتمدوا على الاستنتاج المنطقي وهذا قد يحمل النصوص أحياناً أكثر مما تحتمل[17].

وكون بعض المستشرقين آراءهم من خلال كتابات استشراقية أخرى دون العودة للمصادر الأصلية ولم يدركوا أن كثيراً من الروايات التي استندوا عليها قد هدفت للترويج لفكر غربي قد يكون حاقداً على كل ما هو عربي أو إسلامي[18].

ويعاب على مناهج المستشرقين اهتمامهم بتاريخ الفرق والزنادقة والصراعات وإبرازها في صورة إيجابية وأنهم أصحاب الفكر الحر في المجتمعات الشرقية أو الإسلامية[19].

وعلينا ألا نضع الإيجابيات جانباً عندما ننقد آراء المستشرقين حول المؤرخين المسلمين فما قدموه من إيجابيات في هذا الموضوع يستحق أن نقف عنده فقد قدموا الكثير من خلال دراستهم ونشرهم لمجموعة من أهم المصادر التراثية, وتحقيقهم لمخطوطات عن التاريخ الإسلامي منهم على سبيل المثال المستشرق الإنجليزي امدروز (ت 1917م) الذي حقق "تجارب الأمم" لابن مسكويه, "(421هـ |1030م) وذيل تاريخ دمشق " لابن القلانسي ( 555هـ) و"الوزراء" لهلال الصابي (ت 448هـ) كما نشر المستشرق فان فلوتن بعض رسائل الجاحظ (ت 869م) وكتاب "البخلاء", وحقق المستشرق مرغليوث أنساب السمعاني و"معجم الأدباء" لياقوت الحموي و"تلبيس إبليس" لابن الجوزي (597هـ), والمستشرق الإنجليزي اليوت أصدر فهرس "كتب المؤرخين الذين كتبوا عن الهند الإسلامية" وغيرهم[20].

وأبدأ برأي المستشرق الفرنسي إرنست رينان[21] Ernest Renan (1823-1892م) عن دراسة التاريخ بشكل عام عند المسلمين وهو الرأي الذي عبر عنه في محاضرة له في السربون عام 1883م تحت عنوان "الإسلام والعلم" والذي قال فيها "أن ما يميز المسلم هو كراهيته للعلم والاقتناع بإن البحث فيه لا جدوى منه .....وعلم التاريخ لكونه ينطبق على عصور ما قبل الإسلام فيمكنه إعادة إحياء الضلالات القديمة "[22].

والحقيقة أن المسيو رينان قد جانبه الصواب في هذا الرأي ويرد عليه ويخطئه الكم الهائل من الكتب والدراسات والمخطوطات والوثائق التاريخية والموسوعات الرائعة التي تركها لنا مؤرخون مسلمون لم تمنعهم عقيدتهم من دراسة التاريخ والإبداع فيه .

ولا ننسى أن القصص الواردة في القرآن والزهو بالفتوحات الإسلامية والمنافسات بين القبائل العربية ساعدت على خلق النزعة التاريخية عند المسلمين وهو ما يقر به مستشرق آخر هو اتش. كب حين يقول إن التاريخ عند المسلمين يعد مظهراً لتدبر الغاية الإلهية في خلق الجنس البشري فدراسته عند أهل السنة جزء من دراسة الوحي الإلهي في القرآن وعند الشيعة الحكم الإلهي يستمر في سلسلة الأئمة وبهذا فالتاريخ جزء لا يتجزأ من الثقافة الإسلامية ومن دلائل ذلك أنه بعد استقرار الإسلام في الأقطار التي لم يكن لها تاريخ مثل إفريقية ظهر بها مؤلفات تاريخية[23].

وعن فحوى أقوال المستشرقين عن المؤرخين المسلمين نجملها في أقوال المستشرق الإنجليزي ج.هرنشو أستاذ للتاريخ الوسيط في جامعة لندن للفترة من عام 1913م إلى عام 1934م.من مؤلفاته كتاب "علم التاريخ" وكتاب "غرائب الأحداث المنسية في التاريخ "

وقد أجمل نقض المؤرخين المسلمين في عدة سطور جامعة يكاد يتفق عليها اغلب المستشرقين وهي:

إيجابيات المؤرخين المسلمين: أنهم خلفوا ثروة تاريخية طائلة وأول من ضبط الحوادث بالإسناد والتوقيت الكامل مدو حدود البحث التاريخي ونوعوا التأليف فيه وأول من كتب في فلسفة التاريخ وتأريخ التاريخ واهتموا بالصدق في القول والنزاهة في الحكم وهو أول واجب للمؤرخ[24].

**أما السلبيات فقد عدة في النقاط التالية :**

**1- ضعف ملكة النقد عندهم .**

وعلينا ألا نتجاهل روح النقد عند المؤرخين المسلمين والتي ظهرت بشكل جلي في كتابات ابن خلدون وقد عاب على غيره من المؤرخين مناقشة الحقائق وقبولها دون تمحيص فالمؤرخ محتاج إلى مزايا متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر تصل بصاحبها إلى الحق وإن أقر ابن خلدون أن المؤرخين قبله استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها وسطروها في صفحات واشتهروا بالأمانة ولا ننسى انه اعتمد على مادتهم التاريخية التي تركوها[25].

ويقرر المستشرق جستاف لبون أن مؤرخي العرب كان يعوزهم النقد وكذلك جميع مؤرخي العصور الوسطى والكثيرين ممن ساروا على منهاجهم من الكتاب المعاصرين وأن مهارة النقد قد ظهرت عند ابن خلدون وبلغت درجة عالية[26].

ونجمل الرد على ما أثير حول ملكة النقد التي يكاد يجمع المستشرقون على افتقار المؤرخين المسلمين لها بأن النقد التاريخي عند المؤرخ المسلم يختلف في مضمونه وشكله عن النقد عند الأوربيين فالبحث عن مصدر الخبر هي أولى خطوات النقد عند الأوربيين والمصدر عندهم هو المؤلف الذي كتب الوثيقة أو من صدر عنه الخبر بينما الإسناد عند المؤرخين المسلمين بمثابة عملية نقد للرواة والتحقيق في نسبهم والثقة فيهم وهو ما يعرف "بعلم الرجال" فالمصدر عند المسلم هو الناقل أو الراوي للخبر وهكذا فاختلاف النقد عند المستشرقين عن النقد عند المؤرخين المسلمين جعلهم ينكرون هذه الميزة عند مؤرخي الإسلام[27].

ونورد أمثلة تثبت هذا القول فمؤرخ مثل الهمذاني(ت 718ه|1319م) ذكر الحدث وحلله وأظهر الأسباب وتحرى الحقائق ولجأ إلى التاريخ يستنطقه ويحث الأخريين على الاعتبار ويعلي قدر الحضارة الإسلامية التي جعلتهم يكتشفون حكمة الحياة وكتابه "جامع التواريخ" تاريخاً للعالم إذا ما قورن بالمحاولة اللاتينية لكتابة تاريخ العالم فنجدها تافه بالنسبة له[28].

2- إدارتهم التاريخ العام على الأفراد والحروب والسياسة في أبسط صورها ولعل في أقوال لويس برنارد نفسه حول أن بعض المؤرخين المسلمين طرحوا خلفية واضحة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والنزاعات الداخلية ترد على هذه المقولة .

3- عدم عنايتهم بالشؤون العامة للجماعات وتعليل الحوادث والنفاذ إلى أسرارها. دراسات المستشرقين عن الفرق والجماعات والانقسامات في التاريخ الإسلامي والتي استقوا معلوماتهم عنها من مصادر ومؤرخين مسلمين ترد على هذا القول.

وسأورد بعض التفصيلات حول صورة المؤرخين في كتابات بعض المستشرقين ومنهم دافيد صموئيل مارغوليوث (مارجليوث) David Samuel Margoliouth ( 1858 - 1940م)[29]أحد أكثر المستشرقين الغربيين المعروف عنه تشدده تجاه المسلمين في كثير من كتاباته ومع ذلك أقر بأن المؤرخين العرب والمسلمين لهم مرتبة سامية وكتبهم ذات نفع عظيم للبشرية[30].

وقد ألف مرغليوث كتاباً عن المؤرخين العرب تناول فيه الحديث عن المؤرخين العرب وكيف لم يتأثروا بمؤرخي الإغريق ولكنهم يدينون بشيء قليل للمؤرخين الفرس وتحدث عن العقبات التي واجهت التدوين المبكر للتاريخ الإسلامي ثم قسم كتابه لفصول وضع فيها دراسته للمؤرخين مصنفاً إياهم حسب أزمنتهم[31].

ومن أهم ما أقر به من فضل للمؤرخين المسلمين أنهم لم يثقوا بالمعرفة التي تأتي عن طريق الكتب بدون رواية وإنهم تحروا في حالات الانتحال والوضع وقد أورد قصة كشف فيها مؤرخ حقيقة رسالة موضوعة ادعي أن محمد بن الحنيفية[32] أرسلها لشخص والحقيقة أن واضعها أو مزورها أراد تزكية نفسه بها أمام شيعته والذي كشف أمرها هو الفقيه الشعبي[33]. وهذا يؤكد أنهم عولوا على المصادر المكتوبة إلى جانب المصادر الشفهية.

وقد تناول مرجليوث الطبري والدينوري وابن مسكويه وإبراهيم الصابي والأصبهاني وغيرهم بالدراسة وفسر خصائص مناهجهم,وانتقد بعض الخصائص في منهج التأليف في مجلد

البلاذري وغيره وعاب عليهم التكرار في إيراد القصة أكثر من مرة في الصفحة الواحدة والسبب أخذها من أكثر من راوي وبعض المؤرخين ذكر الرواة في صدر الخبر مع الإشارة للخلافات الصغيرة بينهم وذكر إن عجز الذاكرة يؤثر في الأخبار وأحياناً ما ينسب الأقوال لغير قائلها لتشابه الأسماء فقد تم الخلط في كثير من الكتابات بين معاوية بن أبي سفيان (41-60هـ / 661-680م) وبين عبد الملك بن مروان (65-86/685-705م) وهما أبرز خلفاء بني أمية للتشابه في أخلاقهما[34]. ويقول مرجليوث أن التاريخ عند المسلمين هو إلى حد ما تفسير للقرآن, والتاريخ كذلك تعليق على الشعر وقال أن الشعر هو المنهج القبلي لتدوين التاريخ[35].

ويقرر أن التاريخ عند المسلمين بدأ من دراسة الحديث ثم صار التاريخ فرعاً منفصلا فصار الإخباري غير المحدث مع وجوب تتبع كل رواية حتى تكون جديرة بالثقة وأن الدارسين لتاريخ الدول الإسلامية قد وجدوا في الرواية الشفوية عونا لهم لأنها تسجل الوقائع وتبرز الأوضاع السياسية فهي كالصحافة الشعبية في يومنا هذا ويتسائل هل في الشعر العربي ملاحم أي قصائد مؤرخة كما كان عند الإغريق و الهنود من الملاحم العظيمة[36].

والواقع أن أقواله حول بداية التاريخ عند المسلمين صحيحة واتفق عليها الجميع وأما فيما يخص الشعر الملحمي عند العرب فنستشف من تعليقات طه حسين على شعر المتنبي وأبو العلاء إنهم كانوا أقدر الناس على فهم الأخبار والتاريخ مما يبرهن على وجود ما يشبه الملاحم الشعرية عند العرب منذ فترات مبكرة, كذلك نجد الأحداث التاريخية المنظومة في السيرة النبوية وقد ذكر السخاوي بعض هؤلاء المؤرخين الشعراء في كتابه "الإعلان بالتوبيخ" وفي فتح الأندلس هناك أرجوزة نظمها يحيي بن الحكم الغزال من شعراء القرن لثالث الهجري |التاسع الميلادي, وما أورده جستاف لبون عن المعلقات وإنها تصف حروب العرب وحياة البادية والمغامرات[37].

وعندما تحدث مرجليوث عن المؤرخين الذين كتبوا عن التواريخ العامة أو الخاصة يقول أنهم خلطوا بين جميع الخصائص التي يمكن أن تدخل في الكتابة التاريخية كالصحة والعدالة والتميز وكان لهذا قدرة على اجتذاب القارئ العربي أو المسلم لكن عند ترجمة تلك الأعمال إلى

اللغات الأوربية لم تنتشر أو تشع في أوربا والسبب عدم تآلف الأوربيين مع الأسماء أو الهيئات التي تتناولها كتابات المؤرخين المسلمين[38].

والحقيقة أن كتابات المؤرخين المسلمين استفاد منها الإفرنج الذين أرخوا للحروب الصليبية وكذلك مؤرخو الأسبان استفادوا كثيراً من كتابتهم وكذلك اعتمد عليها الباحثون الغربيون في عصر النهضة[39].

ثم تابع مارجليوث نقده للمؤرخين المسلمين فتناول الواقدي ( 130-207هـ) وقال بأنه وضع كثيراً من الكتب تتضمن رسائل عن أحداث خاصة في التاريخ الإسلامي فقد كثير منها ولو بقيت لكان لها أهمية تاريخية كبيرة وقد أثني الباحثون الأوربيون على اهتمامه بالأزمنة, واعتبر الطبري جامعا للروايات أكثر منه مؤرخاً وإن تميز كتابه بالحياد وعدم تملق الخلفاء, وقال أن الطبري أدى خدمة كبيرة لنا بجمع الروايات التي ألفها أسلافه ورتبها على السنين ومحاولة الوصول بالتاريخ إلى عصره, ولكنه انتقد كتابه بأنه لا يسد الحاجة إلى الوثائق الرسمية والمعاصرة في الحقبة التاريخية ومثل لذلك بقصة بداية العباسيين والتي لم يحقق فيها الطبري بشكل صحيح وما ورد بها من تناقض كان عليه ملاحظته بحكم عمله في القضاء[40].

ويستحق الطبري باعتباره عمدة المؤرخين المسلمين أن نرد على ما وصفه به مارغليوث ذلك انه حفظ لنا روايات كثير ممن سبقوه والتي فقدت أصولها وقدم في كتاباته لمصادر ورسائل تاريخية لم يعثر عليها ولم يكن جمعه للروايات عشوائياً بل أخذ عمن اشتهروا في تخصصاتهم فتنوعت مصادر تاريخه وحسبه أمانته في النقل وانفراده بذكر أحداث لم يذكرها غيره بنفس الصدق والغزارة في المعلومات مثل حركة الزنج وكتاباته عن تاريخ الفرس والتي قلما نجدها عند غيره وحاول أن يوفق بين كتابات السابقين عليه الذين كتبوا كتابات تاريخية مختلفة ونظر للتاريخ نظرة شمولية عامة وحاول أن يؤرخ لكل شيء, كما رتب تاريخه على السنين منذ بداية التاريخ الهجري حتى سنة 302هـ و أخذ عنه كثير من مؤرخي المسلمين أمثال المسعودي الذي قال عنه "إنه فقيه عصره وناسك دهره إليه انتهت علوم الفقهاء والأمصار وحملة السنن والآثا" وأخذ عنه ابن مسكويه وابن الأثير (555-630ه) وابن خلدون[41].

وعندما تعرض للبيروني (ت 282 أو 290هـ) أشهر معاصري الطبري قال إنه جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب, ويقر البيروني في كتابه عن تاريخ الهند بأنه ليس كتاباً للجدل أو المناقشة ولا يعرض لأراء المخالفين ليفند ما فيها من حق وباطل ولكنه وصف مباشر لأحوال الهندوس وقد أضاف إليه ما يقوله اليونانيون من أمور مماثلة بغرض المقارنة وهو يكتب عن تراث ثقافي غير إسلامي ووضح لدينا معرفته باللغات الهندية واليونانية ومعتقدات الجانبين ومنها ظهور المسيحية عند اليونانيين[42].

والبلاذري (ت279هـ) عند مارجليوث رجل بلاط يقتبس معلوماته مما يمنحه له الخليفة وقد وقع في أخطاء كبيرة في التواريخ نتيجة اعتماده على الرواية الشفهية وإن كان أقل مما توقع مرغليوث[43].

وعندما تناول ابن مسكويه وهو من مؤرخي القرن الرابع الهجري قال أن مهاراته في اللغات الفارسية والبهلوية جعلته يترجم للعربية كتباً كثيرة وأن مؤهلاته لتأليف التاريخ تعود لمعرفته بالرجال المشهورين وحصوله على معلومات من مصادرها الأصلية وعدم تحفظه في أحكامه وأنه تخلص من جميع صور التحيز فعلى الرغم من خدمته للبوهيين لم يخف جرائمهم بل يقسوا عليهم في أحكامه أحياناً[44].

ورغم هذا لم يوف ابن مسكويه حقه فيما يخص نقده للأحداث وأنه علل واستنتج كما كان له تعليقات خاصة في الشؤون العسكرية واهتم بالنواحي الاقتصادية[45].

ويصف ابن خلدون بأنه عالج في كتابه الدويلات (الأسر) منفصلة مما جعله يكرر كثيراً من الحوادث ولكن لكتابه قيمة فريدة في تسجيل الشؤون الإفريقية وأن مقدمته لا مثيل لها في الأدب العربي تتضمن أحكام المؤرخ العامة التي خرج بها من دراسة السجلات التي تؤلف موضوع المجلدات التالية ويقول أن الفكرة هنا شبيهة بفكرة أرسطو[46]الذي تسبب في تنظيم أوصاف عدد كبير من المنظمات وألف رسالة عن السياسة من ملاحظاته على ما حدث وكلاهما يذهب لوجود تغير في السلوك الإنساني شبيه بتغيرات الطبيعة[47].

أما المستشرق لويس برنارد (1916م) Bernard Lewis[48]. والذي كتب دراسة عن "الأرشيف العثماني كمصدر لتاريخ البلاد العربية "وكتاب بعنوان "مصادر التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط منذ ظهور الإسلام حتى التاريخ الحديث", وأخر بعنوان "ملاحظات ووثائق من الأرشيف التركي "كما اهتم بدراسة الفرق والقوميات ومن الرسائل التي أشرف عليها "دراسات في التاريخ الاجتماعي للدولة الأموية كما يظهر من كتاب "الأغاني" للأصفهاني ( ت356هـ) ودراسات حول الكتابة التقليدية للتاريخ الماروني والكتاب الأول من تاريخ رشيد الدين فضل الله بخصوص القبائل التركية والمغولية[49].

رأيه في المؤرخين المسلمين يظهر من خلال أقواله أن المؤرخ في المجتمع الحر غير المؤرخ في العالم الثالث فالأول لايضطر لتبني مواقف معينة نتيجة لضغوط السلطة السياسية والدينية عليه بينما المؤرخ في العالم الثالث على النقيض من ذلك فالمؤرخ مقيد بالزمن (العصر) الذي يعيش فيه وبالمادة المتوفرة لديه بمنهجه ومفاهيمه ولا يسع المؤرخ المتخصص في التاريخ الإسلامي المبكر إلا أن يتأثر بالإسلام[50].

يقول لويس عن المؤرخين المسلمين أنهم اعتنوا بتدوين أخبار العرب التاريخية في الجاهلية بطريقة سماعية ثم احتذوا بتاريخ ملوك آل ساسان الذي عرف عن طريق الفرس المسلمين وأقر بأن للعرب حاسة تاريخية قوية وسرعان ما صاروا يكتبون تواريخ ضخمة متعددة المناهج كالتواريخ العامة والمحلية وتواريخ الأسر والقبائل والخطط والمؤرخين وكتاب السير مثل كتاب الروايات[51].

وقال لويس أن كتب التاريخ العربية لا تزيد عن كونها مراجع كتبت على صورة مدونات الحديث, ويصف لويس المعاجم التاريخية إنها قليلة وغير وافية ويقول أن العلماء المسلمين ملأوا العالم خداعاً, كما انتقد في كتابه عن العرب علماء الحديث والمؤرخين[52].

وهذا الرأي غير منصف وغير موضوعي، وتري الباحثة أنه لا يجب إطلاق تعميم أو اتهام كهذا على المؤرخين المسلمين أو العلماء المسلمين بصفة عامة.

كما انتقد لويس المؤرخين المسلمين الذين قالوا بتسامح الحكومات الإسلامية مع آهل الذمة ثم ناقض نفسه عندما قال أن أهل الذمة في ظل حكم المسلمين كانوا يمارسون عبادتهم بكل حرية وأفضل بكثير من هذه الجماعات التي كانت على خلاف مع الكنيسة في غرب أوربا في الفترة نفسها[53].

وذكر إن اهتمام الخلفاء العثمانيين بالمؤرخين ليقدموا خدمات للأسرة العثمانية لأنها كانت في حاجة إلى شجرة نسب وتقاليد في ذلك الوقت مما مكن لظهور طبقة من المؤرخين التقليدين للبلاط العثماني[54].

وإن كان هذا القول يشمل تلميحاً بولاء المؤرخين لمستخدميهم من الخلفاء إلا أنه لا يجب القول أن المؤرخين الذين اتخذهم الحكام بغرض تسجيل إنجازاتهم أو فتراتهم قد انحازوا جميعاً لمستخدميهم .

وبهذا يتوافق لويس مع ماقاله مارجليوث عن مؤرخي البلاط فقد سبق وذكرنا وصف مارجليوث للبلاذري وابن مسكويه بأنهم من رجال البلاط وان برأ مارجليوث الأخير من محاباة البوهيين[55].

ويقول لويس أن المصادر العثمانية المبكرة تشير إلى الغضب وعدم الرضا عن إدخال نظم الحكم الإسلامية التقليدية وبخاصة التشريعات القانونية والمالية[56].

وقال إن التاريخ الإسلامي يفتقد للأرشيفات إلا في تاريخ الدولة العثمانية كما نقد كتب الطبقات وكتب الحديث وقال أن مؤرخي الطبقات أصح لأنهم لم يزوروها في حين أن كتب الحديث بها كثير من التزوير[57].

ونلاحظ أن لويس قد نفى وجود أرشيف في التاريخ الإسلامي رغم حديثه عن الاهتمام الإسلامي طوال تاريخ الحضارة الإسلامية بتدوين التاريخ حتى أصبح لكل دولة من يقوم بالتأريخ لها وغياب تلك الوثائق لا ينفي وجودها تماماً وبالفعل تم العثور على بعض من رسائل الرسول للملوك والأمراء[58].

ويورد عبد العزيز سالم في كتابه عدداً من الوثائق الرسمية منها رسائل وصلت إلينا وعقود زواج ووثائق بردية خاصة بالجزية والخراج وبرديات تعتبر مصدراً للحياة الاجتماعية والاقتصادية وقد اهتم عدد من المستشرقين بدراسات البردي أمثال سلفستر دي ساس ومرجليوث نفسه وجروهمان وهي تعتبر وثائق وإن كانت الدواوين التي يحفظ فيها أوراق الدولة الرسمية قد تعرضت للحرق في عصر الدولة الأموية وما وصلنا منها قليل[59], ولكن وجود الدواوين جعل الموظفين بها ورجال البلاط في مقدمة من دون التاريخ خاصة التاريخ السياسي مما يؤكد اعتمادهم على سجلات تلك الدواوين ويؤكد المستشرق اتش . كب على أنه لا مجال للشك في وجود وثائق مخطوطة في المدينة اعتمد عليها المؤرخون الأول مثل الواقدي كما توافرت دلائل على وجود وثائق في دمشق والعراق في العصر الأموي واعتمد عليها المؤرخون المتأخرون فقد رتبوا الأحداث بدقة وتسلسل مع ذكر أسماء الحكام والولاة وأمراء الحج ولا ننسي أن مؤرخي الأنساب في عهد بني أمية اعتمدوا على الدواوين في كتاباتهم[60]. وأيضاً وثائق الأوقاف أو ما يعرف بالأحباس والتي وصلنا منها الكثير, كما ذكر ابن خلدون أن المؤرخين السابقين عليه استفرغوا دواوين من قبلهم في صحفهم المتأخرة[61].

وقد أظهر المؤرخون المسلمون تقديراً خاصاً للوثائق ذات القيمة التاريخية فقد أفردوا لها منهجاً وهو منهج استخدام الوثائق والنقوش والنقود، فتضمنت كتب التاريخ الكثير من الوثائق التي وردت في شكل الآداب السلطانية والخطابات الدينية الزهدية. وقد استخدم المؤرخون المسلمون نقوشاً تاريخية دقيقة، وخاصة ما كتب بالعربية، وقد أورد بعضها بعض مؤلفي التواريخ العامة. كما عرف المؤرخون المسلمون النقود كمصدر من المصادر التاريخية ورووا أخبار الكشف عنها[62].

ومن بين ما قاله لويس برنارد في كتاب اكتشاف المسلمين لأوربا عندما علل أسباب جهل المسلمين لأوربا –حسب معتقده– قناعتهم بالاكتفاء بما لديهم من نظم وفكر ولاعتقادهم أن الأوربيين همج وليس لديهم ما يقدمونه للمسلمين ويقول أن همجية أوربا رأي عالمي سائد منذ

العصور الوسطى أما مسألة الاكتفاء فلابد أن يفرق فيها بين أمور العقيدة والنظم الإسلامية التي فاقت كل ما يمكن أن ينجزه البشر من فكر وبين الاقتباس في أمور العلم(63).

وللرد على لويس في هذا القول نذكر ببعض المؤرخين الذين اخذوا من كتب الرومان والعجم وقارنوا بين ثقافات الأمم المختلفة وكانوا على دراية باللغات والعلوم والآداب والنحو والفقه والشعر أمثال أبي حنيفة الدينوري (ت282هـ) صاحب كتاب "الأخبار الطوال" وابن قتيبة (213-276هـ) والذي نقل من كتب العجم والهنود و ابن النديم الذي ذكر كتب الهنود والروم في التاريخ وكتب الفرس في السير والأسماء وكذلك حمزة الأصفهاني (ت350هـ|961م) الذي استعان بأسير رومي ليترجم له شفويا بعض المواد التاريخية واعتمد على مصادر عن تاريخ الرومان(64).

ويؤكد لويس أن الحوليات مهمة جداً لأن الحكام المسلمين رغبوا دائماً في معرفة أعمال من سبقوهم بالإضافة لرغبتهم في تدوين أعمالهم وبدأت الكتابة بقيام "رجال أتقياء" بالتدوين الدقيق لأعمال الرسول وأقواله ثم لخلفائه من بعده وأن كل سلالة حاكمة لها حوليتها فيما بعد ثم التخصص في التدوين حيث اقتصر التدوين على تاريخ مدينة من المدن أو على طبقة من الطبقات كطبقات الأطباء أو القضاة الخ وأخبار المجاعات والكوارث الطبيعية ويقول أن هذه المصادر لم تنل حظا طيبا من الترجمة(65).

وينتقد لويس المؤرخين المسلمين في تناولهم لموضوع فرقة الإسماعيلية حيث صنفهم إلى ثلاثة أنواع من المؤرخين السنة بالإضافة للمؤرخين الشيعة وقال أن الطبري كان اطلاعه على عقائد الفرق وخلافاتها الداخلية قليلة , وأن المسعودي في مروج الذهب كتب صفحات قليلة عن القرامطة وكتاباته المفصلة حول هذا الموضوع ولا فقدت ولا نستطيع تحديد مصادر معلوماته وإن كان ما أورده أحدث مما ذكره الطبري , وقد وصف ما أورده الأصفهاني عن القرن الرابع الهجري بأنها معلومات هامة ترسم لنا اضطراب أحوال بغداد والأزمة الاقتصادية والاجتماعية والنزاع الطبقي الحاد بين الخاصة والعامة في بغداد وهي صورة تساعد كثيراً في فهم جو الشقاق الذي ظهرت فيه حركة القرامطة الثورية(66).

ومن المأخذ على دراسات لويس برنارد أنه اعتمد في تناول بعض الموضوعات على دراسات المستشرقين السابقين له و لم يرجع للمصادر الأصلية كما فعل في تناوله للسيرة النبوية

على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ولم يرجع لكتب المغازي والطبقات لابن سعد أو الطبري وغيرهم...[67]. كما انتقده مستشرق آخر هو ايفانوس بأنه اعتمد على خطأ في نص من كتاب غاية المواليد للإسماعيلي, كما اعتمد على روايات الدروز وهي خرافية ولا يمكن الوثوق بها[68].

المستشرق كلود كاهن Claude Cahen ( 1909-1991م)[69]. يعتبر كاهن من أكبر المؤرخين و المستشرقين المتخصصين في تاريخ العصور الوسطى الإسلامية، وقد اكتشف وجود نسخه كاملة لكتاب المقريزى " اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا" فى مكتبة أحمد الثالث في استانبول في تركيا ومن أشهر كتبه "الإسلام منذ أصوله الأولى وحتى بداية الإمبراطورية العثمانية", وكتاب "الشرق والغرب في زمن الحروب الصليبية".

ويقول كاهن إن الأعمال التاريخية لأتبنى على التخيل ولكن على الوثائق فإذا لم توجد الوثائق فلا تاريخ ولابد من أن نعتمد على المؤلفين الذين كانوا أول من اعتمد هذه الوثائق[70]، ويذكر كلود كاهن أنه ليس هناك ما يدعو أن نكون مثاليين في نظرتنا للوقائع كما لا ينبغي أن نكون لا تاريخيين[71]، فالتاريخ عند كاهن الواقع وغير هذا يعتبر مثاليةوذكر أن العلماء المسلمين كانوا يشددون على ضرورة الأمانة والدقة في النقل من المصادر القديمة[72].ويذكر كلود كاهن أن المؤرخ المتخصص يخضع أحب أم كره كغيره من الناس لتأثير بعض الأفكار الشائعة داخل مجتمعه[73].

كما تحدث عن المصادر المفقودة وأن كثيراً من المصادر الأصلية فقد لسوء الحظ ولكنه يري أنه يمكن إرجاعها وإعادة بنائها عن طريق كتب تاريخية أخرى متأخرة حفظت لنا نقولا ذات شأن للمؤلفين الذين فقدت مؤلفاتهم[74].

كما قدم كلود لدراسته عن سورية الشمالية في العصر الصليبي بدراسة هامة عن المصادر العربية شملت الفصل الثاني كله[75].

واختتم كتابه عن الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية بعدد من الوثائق التي اعتمد عليها ومنها أجزاء أو صفحات من بعض المصادر الإسلامية لمؤرخين أمثال ابن الأثير وابن الفرات[76].

تناول كلود كاهن مؤرخي المدن بعدة انتقادات منها أنه قال عنها أنها مجرد معاجم للأعلام تعبر عن وعي بالطبقات الاجتماعية من ناحية ومن ناحية أخرى يلبي الحاجة العملية للرجال اللذين تقوم قراراتهم على سابقيهم في نفس المكان التي يدرسون فيها (المدرسة) دون ابتكار وتحمل تلك الكتب عنوان تاريخ المدينة دون أن تخرج عن شكل المعجم وتتناول كل ما ساهم في تاريخ المدينة وضرب مثالاً بكتاب[77]ابن العديم ( ت 660هـ) "بغية الطلب في تاريخ حلب" ورغم ماذكره المستشرق كاهن فلا يجب ألا ننسى أن ابن العديم من أشهر المؤرخين الذين أنجبتهم بلاد الشام في تاريخها الإسلامي غزير الإنتاج موسوعي المعارف خير ممثل للحضارة العربية والثقافة الإسلامية قبيل الاجتياح المغولي المدمر[78].

أما ما يخص التواريخ المحلية وتواريخ المدن فقد جأت انعكاس للأوضاع السياسية في العصر العباسي الثاني ولها جوانب ايجابية عديدة يصعب الحصول عليها في كتب التاريخ العام نظراً لدراية كاتبيها بأوطانهم أكثر من غيرهم[80].

ويذكر كلود أنه في القرن التاسع الميلادي| الثالث الهجري لم توجد مدينة لم يكتب لها تاريخ أو معجم أعلام وقد ضمن منهج تلك الكتابات في سطور وهي أنها تبدأ بمدح مميزات جغرافيا المدينة وبعض الأحاديث الصحيحة أو الموضوعة التي كتبت فيها وخصائصها المميزة وفضل الانتماء إليها وأنهى بتعليق أن هذا النوع من الكتب لم يتوافر في أي دولة مسيحية ألا فيما بعد ذلك بقرون وخاصة في إيطاليا إبان انقسامها لدويلات وأن لهذا مغزى كبير[81].

ولعل تلك الأقوال من كلود رغم ما تناوله من سلبيات في كتابة تاريخ المدن إلا أنها تحوي العديد من الايجابيات و توضحه عبارته الأخيرة أن المسلمين سبقوا أوربا بقرون عديدة في كتابة مثل هذا النوع من التواريخ .

ونختم بأقوال المستشرقة زيغريد هونكه بأن كتابات العرب امتازت بتنوعها من كتب مختصرة لموسوعات ضخمة فيها كل المعارف للعصور السابقة والحاضرة منظمة أحسن ما يكون ومتسلسلة ومشروحة بتفصيل جعلها ثمرة سائغة في متناول الجميع وعبرت عن موهبة ومنهجية عبقرية خلاقة[82].

# النتائــج

1- معالجة صورة المؤرخين المسلمين عند المستشرقين ينبغي أن تتم بموضوعية وحكمة وبمنهجية علمية نزيهة، أمينة، ومنصفة.

2- كتب المؤرخون المسلمون تاريخياً عالمياً تضمن تاريخ الأمم السابقة على الإسلام وتناول موضوعات تاريخية قلما تنبه إليها غيرهم من مؤرخي العالم الوسيط.

3- اختلاف مكونات الفكر الإستشراقي عن مكونات الفكر الإسلامي ساهمت في إخراج صورة غير دقيقة عن مؤرخي الإسلام .

4- توصل المؤرخون المسلمون لأنواع من الكتابات التاريخية مثل تاريخ المدن لم يعرفها الغرب إلا في العصور الحديثة .

obeikandl.com

obeikandl.com

## الهوامش

(1)يذكر أسد رستم أن مجموعة النقوش اللاتينية Corpus incriptionum Latinarum معظمها غير مؤرخ وقد اختلف العلماء عشرات السنين في أمر تنسيقها وترتيبها وصنفوها على أساس محتوياتها وقسموها إلى نقوش دينية أو عسكرية أو أدبية.

أسد رستم: مصطلح التاريخ, المكتبة العصرية, بيروت, 1955م, ص46.

(2) شرع المسلمون في التدوين و انتشر في القرن الثاني الهجري وكان المؤرخ يعتمد على الذاكرة والحفظ وعلى كتابات من سبقوه من المؤرخين الأولين ثم تحرر من طريقة الإسناد وأصبح مجرد إخباري .

عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب, مؤسسة شباب الجامعة, الإسكندرية, 1967م, ص78, ألبرت حوراني: تاريخ الشعوب العربية, ترجمة. نبيل صلاح الدين, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, 1997م, ص95.

(3) بداية علم التاريخ عند المسلمين من رواية الحديث وطريقة الإسناد وتحقيق الحديث بهدف التميز بين لأحاديث الصحيحة والزائفة وقد نمت تلك الحركة في نهاية القرن الأول الهجري علي يد متخصصين سافروا في طول البلاد وعرضها وحاولوا إسناد الحديث والسيرة النبوية وصولا لشهود الرسول وأصحابه وبهذا تم توحيد الأحاديث وروايات السيرة .

ألبرت حوراني : تاريخ الشعوب العربية ,ص113, أسد رستم : مصطلح التاريخ, ص33.

(4) أسد رستم : مصطلح التاريخ, ص69.

(5) ألبرت حوراني : تاريخ الشعوب العربية, ص113.

(6) ابن النديم : الفهرست, تحقيق رضا تجدد ابن علي زيد العابدين, دار المسيرة, ط2, 1988م.

(7) الطبري: تاريخ الرسل والملوك, تحقيق. أبو الفضل إبراهيم, دار المعارف, القاهرة,1960م, ص8.

(8) قدري طوقان: العلوم عند العرب, الأردن, ص84-86, أحمد عتمان : المنجز العربي الإسلامي في الترجمة وحوار الثقافات من بغداد إلى طليطلة,الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, 2013م, ص340-344, محمد عيسى صالحية : بحوث ومقالات في الحضارة العربية الإسلامية, دار الكتب, بيروت, 1988م, ص181.

(9)الطبري : تاريخ الرسل والملوك, ص8, أيضاً : قاسم عبده قاسم : في تطور الفكر التاريخي, دار عين, القاهرة, 2004م, ص113, عثمان موافي : منهج النقد التاريخي عند المسلمين والمنهج الأوربي, مؤسسة الثقافة الجامعية, الإسكندرية, ص182-190.

(10) مؤرخ يوناني ترجم لمشاهير بلاد اليونان والرومان عاش في الفترة ( 45-125م).

ج. هرنشو: علم التاريخ, ترجمة. عبد الحميد العبادي, دار الحداثة, بيروت, 1988م, ص46, حاشية1.

(11) ج. هرنشو : علم التاريخ, ص46.

(12) ج. هرنشو : علم التاريخ, ص46, جوستاف لوبون : حضارة العرب, ترجمة. عادل زعيتر, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, 2012م, ص453, اتش. كب: علم التاريخ, ترجمة. إبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس وحسن عثمان, دار الكتاب اللبناني, بيروت, 1981م, ص70.

(13) ابن خلدون هو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ولد بتونس عام 732هـ وتوفي في القاهرة عام 808هـ وفي نسبه للعرب اليمنية خلاف حمل على العرب في مقدمته ربما لما شاهده من أحوالهم وهو مفكر إسلامي عبقري ابتكر علم الاجتماع اتصل بملوك افريقية والأندلس وعمل بالسياسة مما أفاده خبرة ورحل لمصر ودرس بالجامع الأزهر, وقد سبق منتسكو بوضع علم النقد التاريخي.

ت.ج.دي بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام, ترجمة. محمد عبد الهادي أبو ريدة, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, 2013م, ص395. ج. هرنشو : علم التاريخ, ص47, عبد التواب يوسف: الحضارة الإسلامية بأقلام غربية وعربية, الدار المصرية اللبنانية, القاهرة, 1996م, ص 27.

(14) السخاوي : الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ, تحقيق محمد عثمان الخشت, مكتبة ابن سينا, 1989م, ص22, أيضاً : قاسم عبده قاسم : في تطور, ص130, ج. هرنشو : علم التاريخ, ص47, أسد رستم : مصطلح التاريخ, ص ب, المقدمة.

(15) قاسم عبده قاسم : في تطور, ص110, لويس برنارد : لغة السياسة في الإسلام, بيروت, 1993م, ص10, عبد التواب يوسف : الحضارة الإسلامية, ص72-73, أحمد علبي: الإسلام والمنهج التاريخي, دار الطليعة, بيروت, 1975م, ص127.

ويكفي تدليلاً على أهمية السياسة والفكر السياسي في الإسلام أن قصة موسى عليه السلام مع فرعون وردت أكثر من سبعين مرة في القرآن الكريم وكانت في غالبها في سياقات سياسية. فمن قال إن الإسلام لا يهتم بالسياسة فما عليه إلاّ أن يطلع على هذه القصص وتفسيرها ليعرف كم هو مهم أن يعيش الناس تحت ظل حكومة تعاملهم بالعدل وترعى شؤونهم وتساوي بينهم ولا تأكل أموالهم.

فالإسلام منهج متكامل للحياة في السياسة وفي الاقتصاد وفي الاجتماع وفي كل مجالات الحياة. أما العلمانية (الفكر الغربي) التي ترى أن ينحصر دور الإسلام في العبادات والطقوس فأمر لا شك أن الحركات الإسلامية ترفضه وكذلك كل مسلم متمسك بدينه لأنه يتلو قول الحق سبحانه وتعالى {قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين}.

مازن بن صلاح مطبقاني: منهج المستشرق برنارد لويس في دراسة الفكر السياسي الإسلامي, المجمع الثقافي, أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة , 26 ابريل , 1998م ,ص7|34.

(16) لويس برنارد : لغة السياسة في الإسلام, ص10, فاروق عمر فوزي: الاستشراق (التاريخ الإسلامي القرون الإسلامية الأولى), الأهلية للنشر والتوزيع, لبنان, 1998م, ص170.

(17) كتب المستشرق كراتشوفسكي ان اللغة العربية تزداد صعوبة كلما ازداد المرء دراسة لها .

فاروق عمر فوزي : الاستشراق والتاريخ الإسلامي القرون الإسلامية الأولى, ص135, عبد العظيم الديب: المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي, أخبار اليوم,1990م, ص70.

(18) فاروق عمر فوزي : الاستشراق, ص152.

(19) عبد العظيم الديب: المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي, 59-60.

(20) هذا غير ماقاموا بتأليفه في الدراسات الاسلامية وقد بلغ ما ألفوه في قرن ونصف منذ اوائل القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين ستين الف كتاب في التاريخ والشريعة والفلسفة والتصوف وتاريخ الأدب واللغة العربية.

فاروق عمر فوزي: الاستشراق, ص 168-171, عبد الرحمن بدوي : موسوعة المستشرقين, دار العلم للملايين, بيروت, 1984م, ص31, عبد العظيم الديب : المنهج في كتابات, ص14|21.

(21) ارنست رينان ( 1823-1892م) ولد في بلدة بفرنسا أرسل للتعليم الديني درس التاريخ والأديان والفلسفة واهتم بالدراسات واللغات الشرقية له كتابات عن تاريخ وأصول المسيحية وحياة المسيح وتاريخ الشعب الإسرائيلي والإسلام والعلم وهو مؤرخ وكاتب اشتهر بترجمته ليسوع التي دعا فيها إلى نقد المصادر الدينية نقدًا تاريخيًا علميًا وإلى التمييز بين العناصر التاريخية والعناصر الأسطورية الموجودة في الكتاب المقدس.

الإسلام والعلم مناظرة رينان والأفغاني, ترجمة. مجدي عبد الحافظ, المركز القومي للترجمة, القاهرة, 2009م, ص33.

(22) تعتبر مناظرة رينان والأفغاني وما دار حولها من ردود ودراسات من أهم اللقاءات بين الاستشراق والفكر الإسلامي. للمزيد انظر : الإسلام والعلم مناظرة رينان والأفغاني, ص47|145.

(23) اتش. كب: علم التاريخ, 64-66.

(24) ج.هرنشو: علم التاريخ, ص63.

(25) مرغوليوث : دراسات عن المؤرخين العرب, ترجمة. حسين نصار, المركز القومي للترجمة, القاهرة, 2010م ص 168-171, علي بكر حسن : الطبري ومنهجه في التاريخ, دار غريب, القاهرة, 2003م, ص76.

(26) جوستاف لوبون : حضارة العرب, ص453.

(27) عثمان موافي: منهج النقد, ص150-151.

منهج الإسناد القائم على الجرح والتعديل و يمكننا القول بأن علم التاريخ قد نشأ وترعرع في أحضان علوم الحديث، حيث استعار علم التاريخ من علم الحديث أداه نقدية عملية استخدمت في تنقية وغربلة الأخبار التاريخية منذ أن اهتم العرب بتدوين هذه الأخبار عند منتصف القرن الثاني للهجرة .

الريح حمد النيل الليث: مناهج كتابة التاريخ الإسلامي بين المؤرخين المسلمين والمستشرقين, جامعة النيلين – السودان, ص31.

(28) حسن خضيري أحمد: "الهمداني ومنهجه في كتابة التاريخ ", مجلة المؤرخ العربي, العدد 10, مج 1, مارس, 2002م , ص467, بيريل سمالى : المؤرخون في العصور الوسطى, ترجمة. قاسم عبده قاسم, ط2, دار المعارف, القاهرة, 1984م, ص45-46.

(29) مرغوليوث او مارجليوث مستشرق يهودي بريطاني بدأ حياته العلمية بدراسة اليونانية واللاتينية ثم اهتم بدراسة اللغات السامية فتعلم العربية ومن أشهر مؤلفاته ما كتبه في السيرة النبوية وكتابه عن الإسلام وكتابه عن العلاقات بين العرب واليهود. ولكن هذه الكتابات اتسمت بالتعصب والتحيز والبعد الشديد عن الموضوعية .

فاروق عمر فوزي: الاستشراق, ص170.

(30) مرغوليوث: دراسات عن المؤرخين العرب, ص22-23.

(31) مرغوليوث : دراسات عن المؤرخين العرب, ص32|57|113, فاروق عمر فوزي: الاستشراق, ص170.

(32) محمد بن الحنيفية بن علي بن أبي طالب وينسب إلي أمه خولة بنت الحنيفية كانت من سبي اليمامة وصارت إلي علي رضي الله عنه, ويكنى أبو القاسم .

ابن خلكان : وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان , مطبعة بولاق , القاهرة , د .ت, ص218-219.

(33) مرغوليوث: دراسات عن المؤرخين العرب, ص55.

(34) مرغوليوث : دراسات عن المؤرخين العرب, ص65.

(35) مرغوليوث : دراسات عن المؤرخين العرب, ص69.

الشعر هو ديوان العرب وكان يقوم بدور الصحافة في الجاهلية وهو تسجيل لأيام العرب وعلم الأخبار مما جعل له دوراً تاريخياً واعتبر من مميزات المثقف المسلم, بجانب دوره الفني والأدبي.

شاكر مصطفى: الشعر والتاريخ الإسلامي, بحوث مهداة لجامعة الكويت, الكويت, 1990م, ص117.

(36) مرغوليوث: دراسات عن المؤرخين العرب, ص25-29|91-92, ج. هرنشو: علم التاريخ, ص51.

(37) طه حسين: من الأدب الجاهلي, دار المعارف, مصر, 1927م, ص35, شاكر مصطفى: الشعر والتاريخ, ص142, جوستاف لبون : حضارة العرب, ص446.

(38) مرغوليوث : دراسات عن المؤرخين العرب, ص 168.

(39) عبد التواب يوسف : الحضارة الإسلامية, ص131.

(40) مرغوليوث : دراسات عن المؤرخين العرب, ص25-29|139.

(41) على بكر حسن : الطبري ومنهجه في التاريخ, ص64-67|70-71|80, عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب, ص79|85.

(42) مرغوليوث : دراسات عن المؤرخين العرب, ص124-128, ألبرت حوراني: تاريخ الشعوب العربية, ص95.

(43) مرغوليوث : دراسات عن المؤرخين العرب,ص 124-128.

(44) مرغوليوث : دراسات عن المؤرخين العرب,ص140-143.

(45) علي بكر حسن : الطبري, ص73.



obeikandl.com

(46) أرسطو فيلسوف من القرن الرابع ق. م عاصر الإسكندر الأكبر واصطحبه في غزواته .

جورج .جي. ام جيس : التراث الشرقي, ترجمة. شوقي جلال, القاهرة, 1996م, ص169.

(47) مرغوليوث : دراسات عن المؤرخين العرب,ص 168-171.

(48)درس لويس برنارد في جامعة لندن وقد اكتسب موقعه العلمي كمتخصص في الفترة العثمانية وهو معروف بالتعصب والتحيز و اعتماده على التلميح والاقتراح وميوله الصهيونية وهو يمثل الاستشراق الكلاسيكي , حصل على الجنسية الأمريكية عام 1982م أوصى لويس بأن تعطى مكتبته - وهي مكتبة كبيرة- لمركز موشيه ديان بعد وفاته. ويقضي لويس شهرين سنوياً في تل أبيب

- Lewis -the Jews of Islam, Princeton, 1984.

- History remembered ,Recovered, invented ,New York ,1987.

مازن بن صلاح مطبقاني: منهج المستشرق, ص3-5.

(49)Lewis, -Nots and Document from the Turkish Archives, Jerusalem, 1952.

-"the Ottoman Archives as a source for the history of the Arab land. In Journal of the Royal Asiatic society, (1951)

- Recent development in Turkey in international Affairs ,1951.

(50) Lewis, Islam in history, London, 1973, p.23.

(51) برنارد لويس: العرب في التاريخ, ترجمة. نبيل امين فارس ومحمود يوسف زايد, دار العلم للملايين, بيروت, 1954م, ص193|203.

(52)Bernard Lewis, the Arabs in history, London, 1975, p.6.

برنارد لويس : العرب في التاريخ, ص194 .

Bernard Lewis; The rise of Islam to the present day, London, 1970, p. 92.

مازن صلاح مطبقاني : الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي, مكتبة الملك فهد الوطنية, الرياض, 1995م, ص 341.

(53) برنارد لويس : العرب في التاريخ, ص132.

(54)Bernard Lewis, Istanbul and the civilization of Ottoman Empire, 1978, p.20-24.

(55) مرغوليوث : دراسات عن المؤرخين العرب, ص 124-128|140-143.

(56) Bernard Lewis, Istanbul and the civilization , p.20.

(57) Lewis, Islam in history, p. 28.

(58) محمد ماهر حمادة : الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي, بيروت, 1974م, ص7.

(59) عبد العزيز سالم: مناهج البحث في التاريخ الإسلامي والآثار الإسلامية, مؤسسة شباب الجامعة, الإسكندرية, 2010م, ص133-138|141, علي بكر حسن: الطبري, ص76, مصطفى العبادي: "وثائق بردية عن ضرائب نصتان في صدر الإسلام" بحوث مهداة لجامعة الكويت, الكويت, 1990م, ص69-70.

(60) اتش. كب : علم التاريخ, ص72-73|60|50.

(61) عبد العزيز سالم : مناهج البحث في التاريخ , ص133-138|141, علي بكر حسن : الطبري, ص76.

(62) محمد بن على بن طباطبا .كتاب الفخري في الآداب السلطانية، بيروت : 1960م، ص 13, أيضا: عبد العليم عبد الرحمن خضر: المسلمون وكتابة التاريخ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي – سلسلة المنهجية الإسلامية (6)، 1401هـ1981م، ص211-212.

(63) مازن صلاح مطبقاني : الاستشراق , ص82-84.

Lewis, the Muslim Discovery of Europe, New York, 1982.

(64) ابن النديم : الفهرست, ص364-365, أيضاً: أحمد أمين: ضحى الإسلام, الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة, 2002م, ص418-424, أحمد عتمان: المنجز,ص118.

(65)Lewis , the origin of Islam, p. 3-5.

(66) برنارد لويس: أصول الإسماعيلية, ص51-53.

(67) مازن صلاح مطبقاني : الاستشراف والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي, ص293-295.

(68) برنارد لويس: أصول الإسماعيلية, ترجمة خليل أحمد جلو وجاسم محمد الرحب, دار الكتاب العربي, ص36.

(69)مؤرخ فرنسي ماركسي تخصص في التاريخ الاجتماعي والدراسات الإسلامية والمصادر التاريخية الإسلامية في العصور الوسطى وهو ماركسي يهودي ولكن مضاداً للصهيونية وإن لم يكن منخرطاً في العمل السياسي وهو مشهور بأسلوبه الجاف الوعر، أي أسلوب الأكاديميين الكبار المتبحرين في العلم والذين يفضلون دقة.

ج.هرنشو : علم التاريخ ,ص63.

(70)Sauvagat .J.et Cahen ,Cl. ,introduction al, histoire de l, orient Musulaman, Paris,1961, pp. 33-35.

(71) كلود كاهن: الشرق والغرب, ص35.

(72) روزنتال فراتز: مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي, دار الثقافة, بيروت ,1961م, ص117-121.

(73) كلود كاهن : الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية, ترجمة. أحمد الشيخ, سينا للنشر, القاهرة, 1995م, ص17.

(74) أيمن فؤاد السيد :"إعادة بناء المصادر العربية الضائعة وأهميته لدراسة التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط" ندوة اتحاد المؤرخين العرب, حصاد 6, نوفمبر, 1998م, ص192.

(75) عبد العزيز سالم, مناهج, ص8.

(76) كلود كاهن: الشرق والغرب, ص280-284.

(77)Claude Cahen, "Mouvements populaires et autonomisme urbain dans l'Asie musulmane du moyen âge, III", Arabica, T. 6, Fasc. 3 (Sep., 1959), p. 250.

(78) عمر بن حمد بن أبي جرادة : زبدة الحلب من تاريخ حلب, ج1, دار الكتاب العربي, القاهرة, 1997م, ص13.

(80) محمد مرسي الشيخ : "مصادر التاريخ الإسلامي بين الكثرة العددية وتنوع الموضوعات " أبحاث ندوة الأستاذ الدكتور سعد زغلول عبد الحميد (ملامح من التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية في فكره وعطائه) كلية الآداب , جامعة الإسكندرية , 8|9ابريل , 2008م, ص26.

(81)Claude Cahen, "Mouvements populaire, p.251.

(82) زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب, ترجمة. فاروق بيضون وكمال دسوقي, ط8, دار الأفاق الجديدة, بيروت, 1993م, ص285-286.